جوامع الكلم

تأليف

الدكتور جوستاف لوبون

ترجمة من اللغة الفرنساوية

المرحوم

أحمد فتحي زغلول باشا

«عني بتصحيحه ونشره»

توفيق الرافعي

يطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

« كلمة للناشر »

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فهذا كتاب « جوامع الكلم » لنابغة الفلاسفة الدكتور جوستاف لوبون قد لخص فيه كثيراً من آرائه في مؤلفاته على ما قاله في مقدمة هذا الكتاب وتراه مبثوثاً في تضاعيف أسطره وثنايا أوراقه .

والدكتور جوستاف لوبون ليس بدعا من الفلاسفة فقدما سارت حكمهم وأمثالهم مسير الشمس في الفلك والنور في الحلك يتناقلها الرواة ويشيد بذكرها الركبان يرد نميرها الملك والامير ويهتدى بهديها الغنى والفقير هذا ومكانة صاحب هذا المؤلف مكانته بين فلاسفة الغرب والشرق ومنزلته منزلته عند رجال الحكمة وأمراء البيان .

ولذا اعتنى علماء الامم وكتابها بجميع ما خط يراع هذا

الفيلسوف العظيم وفى مقدمة هؤلاء الاستاذ العلامة المرحوم احمد فتحى زغلول باشا .

فقد كان لهذه المؤلفات منزلة خاصة فى نفسه جعلته يحرص كل الحرص على ترجمتها وتعميم فائدتها فنقل الى اللغة العربية منها «سر تطور الامم» و«روح الاجتماع» وهذا الكتاب وحالت المنية بينه وبين اتمام ترجمة باقيها

ولما كانت هذه الكتب مما تحتاج اليه الامم الشرقية لاسيما فى أيام نهضتها ودور انتقالها آثارنا إعادة طبعها ونشرها إلى الناس فنشرنا لهم سر تطور الامم — وروح الاجتماع وهذا الكتاب والله نسأل أن يوفقنا لخدمة هذه الامة والعمل لمصلحتها والسلام

القاهرة فى مارس سنة ١٩٢٢ — توفيق الرافعى

مقدمة المؤلف

الغرض من هذا الكتاب تلخيص بعض الافكار المنشوره في مؤلفاتي على اختلاف أنواعها وإبرازها في صورة قضايا جامعة، لأن الصيغ المختصرة تأخذ باللب، وتبقى في الذاكرة، ولذلك شاعت جوامع الكلم في عالم الادب

يتناول العقل أكثر الحقائق المقررة عندنا، أعني ما يرتسم فيه من صور المعلومات على شكل أفكار موجزة، وما فتىء الناس يلخصون تجاربهم في قضايا وحكم ترسل أمثلة، هي جوامع كلم الأمم، فالمرء يفكر بواسطة القضايا الموجزه، ويسير في حياته مدفوعاً بها، ذلك لانها تعفيه من إطالة التفكير قبل الاقدام على فعل ما يريد

بجانب هذه المزايا مضار. فالمثل خلاصة تقريرات ينبغي للمرء أن يستحضرها. فاذا سهل تصور الدليل، كان المثل صيغة من البديهي، وإذا عسر تناول ذلك تعذر فهم المراد منه، ويظهر من ذلك أنه لا يفيد الا في استحضار الحقائق الاجمالية البديهية غالباً، وذلك هو الواقع في معظم الامثله، ولكني لم أحجم عن ضم بعض القضايا، وان صعب إدراك الغرض منها وحدها لاول وهلة، لانها مبسوطة في مؤلفاتي، فهذا المختصر جامعها

باريس: مارس سنة ١٩١٣ — جوستاف لوبون

الفصل الأول

الحياة الشاعرة

١

الخُلُقُ والذات

المرء مُسيَّر بخلقه لا بذكائه

* * *

تتكون الذاتية من عناصر متنافرة غالباً ، فوحدتها صناعية كوحدة الجيش

* * *

روح الفرد مؤلفة من أرواح مجتمعة : روح الشعب ، وروح العائلة ، وروح الفريق الذى هو فيه عادة ، وقلما أفلت من هذا الجمع المطبق عليه

* * *

سبب تغير الخلق تغيراً فجائياً ، طروء حوادث من شأنها ، إيقاظ إحدى الارواح الكامنة فينا

من المتعذر الحكم على مشاعر الانسان بما قد يأتيه فى أمر معين ، فالمرء فى حال ليس هو هو فى جميع الاحوال

*
* *

انما يعرف المرء عند عظائم الامور ، ولا سيما حين الفتنة (الثورة) فهناك تظهر مكنونات خلقه

*
* *

أصل ثبات الخلق ثبات البيئة

*
* *

قلما تكون الاسباب التى ينتحلها المرء لاعماله هى الداعية اليها حقيقة ، وانما هى تصلح لتعليل نزعاته الداعية إلى العمل الصادرة عن المشاعر أو التدين

*
* *

سبب تناقض خلق المرء ، راجع فى الغالب الى مغايرة ارادته الشاعرة لارادته اللاتنبهية

*
* *

قد تكون الفطنة والارادة اللاتنبهيتان ، أرقى من الفطنة والارادة الشاعرتين ، لذلك تجد من الناس من سقم رأيه وحسن عمله

*
* *

من ظن لغيره من المشاعر ما عرفه لذاته . فقد سد على نفسه باب معرفة الناس

*
* *

العادة تهدى المرء فى كل يوم الى ما يجب التفكر فيه وقوله وعمله

*
* *

المتردد لا يسير بمقتضى رغباته ، بل بمقتضى ما يفترضه من ذلك لنفسه وقت اضطراره للعمل

*
* *

من لم يزاحم بارادته ، أضر غالباً بسكونه

*
* *

ليس الذى تكبر الجماعات شأنه متصفاً حتما بما يعزى اليه من الاخلاق ، ولكنه كثيراً ما يكسبها فى النهاية

*
* *

قلما تترتب عظائم الاعمال على مجهود عظيم ولكنها فى الغالب ثمرة مجهودات صغيرة

*
* *

مثل « من قدر على الكثير قدر على القليل » ليس صحيحا دائما فذو العقل الكبير ينجح فى العظائم ، أكثر مما ينجح في الصغائر .

*
* *

الغرور علة رضا البليد عن نفسه ، لانه يسهل عليه أن يرى لنفسه من الفضائل مالا يكون له أبداً

*
* *

من وثق من نفسه . غير محتاج إلى مدح غيره إياه . ومن طلب الثناء ، فقد دل على ارتيابه فى قيمة نفسه

*
* *

من انحاز لمذهب ، فقد أضاع ذاتيته ، ومن لم يكن من فريق فلا يطمحن إلى النفوذ فى الناس

*
* *

أخطأ من قال : إن كبار الافكار تأتى من القلب ، فمصدرها العقل ، وإنما هى تستمد من القلب قوتها

*
* *

قلما اجتمع لامرء خلق وذكاء ، لذلك ينبغى له أن يختار أصدقاءه من أهل الخلق ، ومعاشريه من أهل الذكاء

*
* *

روح من كان سريع التأثر كالبحر المائج : تنعكس فيه أشعة الاشياء فى كل يوم بلون جديد

*
* *

ما أشبه العقول الكبيرة بالنباتات الضخمة التي تعظم بالمعالجة ويرجع خلفها على الدوام الى المثال الوسط لنوعها

*
* *

لايملك الانسان رغباته ، ولكنه يملك إرادته غالباً

*
* *

لاشيء يقف أمام إرادة قوية دائمة ، حتى الطبيعة ، حتى البشر ، حتى القدر

*
* *

من كان له إرادة قوية ، غلب أن يكون له رغبة قوية تدعمها فالرغبة روح الارادة

٢

الشعور والمعقول

المشاعر أس الحياة ، فاذا ماحل التعقل محل الاخلاص والبر والحب والخيالات ، وهي التي تسير المرء في الحياة ، فقد انتفى كل داع إلى الحركة

*
* *

انما ظهر شأن العقل فى كوكبنا الارضى متأخراً ، فكم عاشت الكائنات وتقلبت بدونه

*
* *

تطور المشاعر مستقل عن الارادة ، وليس فى طوع امرء أن يحب أو يكره كما يهوي ، وأقوى الناس نفساً ، لا سلطان له على مافيه من إحساس وشعور إلا بقدر ما يكسر من حدتهما

*
* *

المشاعر قليلة التغير ولكن محلها متغير غالباً ، ومن هنا يظنون أنها متقلبة

*
* *

ما أسرع تولد اليقين من الخيال فى دائرة المشاعر

*
* *

قد يودى التظاهر بمشاعر كاذبة الى اكتسابها

*
* *

قوة البديهيات الاحساسية ، تظهر فى عدم الاعتداد بالبديهيات العقلية

*
* *

قد تجتمع فى النفس الواحدة معقولات شتى ، كالتى منشؤها الدين والشعور والعقل ، ولكنها لا تأتلف أبداً

إنما يعالج الشعور بالشعور ، أو يتصور الشعور فى الذهن . ولـكن المعقول لا ينجع فيه

*
* *

ما يأتيه المرء كبراً ، أكبر مما يأتيه وجوباً

*
* *

دوافع الشعور والاعتقاد أشـد فعـلا فى سيرة المرء من مستظهرات العقل كلها

*
* *

إذا لم يكن للرأى سند من الشعور أو الدين ، بطل فعله وأشبه الطيف لا نفوذ له ولا قوة ولا بقاء

*
* *

حياة الامم قائمة على المشاعر ، والمؤثرات الدينية والاجتماعية

*
* *

صحة الأمر عقلا ، لا تقتضى الاخذ به دائماً

٣

اللذة والألم

ماعرف المرء الا حقيقتين مطلقتين : اللذة والالم ، فعليهما تقوم

حياته منفرداً ومجتمعاً

*
* *

ما اهتدت الشرائع الدينية ، ولا القوانين الاجتماعية ، الى أس تدعم به تعاليمها ، الا رجاء اللذة وخوف الالم : فعقاب أو ثواب ، وجنة أو جحيم

*
* *

أطوار الشعور محدودة . لذلك لا يلبث المرء أن يصل الى غاية اللذة أو منتهى الالم

*
* *

لكثرة تجدد الاحساس بذاته أثر نفسي ، قد نسميه قانون الفتور وهو يلجىء الى تنويع الرغبات غالباً

*
* *

يعترف المؤمنون بأن شدة الشوق الى الجنة آتية من خوف الجحيم

*
* *

اللذة عارضة ، والرغبة أبقى . لذلك يقاد الناس برغباتهم ، أكثر مما يقادون باللذات

*
* *

الغالب فى السعادة أنها أمل محقق ولما يتحقق

*
* *

الرجل الذى يعمل بمشورة البوذية ، فيقتل الرغبة فى نفسه ، يفقد كل باعث له على العمل

*
* *

الرغبة مقياس مقدرة الرجال . وخيال كل أمة جامع رغباتها

*
* *

اكبر قواد الرجال خلاقون للرغبات . وما المصلحون إلا قوم يحلون رغبة محل رغبة

*
* *

لولا الامل فى السعادة الوهمية ، والاسف على عدم تحقيق مايتصور منها لسئم الناس طول الحياة

*
* *

الرجل العاقل يملك نزعات قلبه كلها ، غير أن العقل لا يقتضى السعادة حتما

*
* *

السعيد نفور من مرأى التعاسة . وقلما تدوم المحبة بين شقى وسعيد

*
* *

الجذب والدفع يحكمان تطور العوالم كلها . والحب والكراهية صورتان منهما يسودان تطور الاشخاص

*
* *

ماطول الحياة بعدد سنيها ، بل بتنوع المشاعر فى مداها

٤

الروح النسائية

خلقت المرأة أشد تأثراً بالمشاعر والدين منها بالمعقول

*
* *

الغالب أن الالهام فوق العقل . فبه تفطن المرأة ، وان ضعف معقولها ، الى أمور لايفقهها الرجل قويم النظر

*
* *

النساء حساسات أكثر منهن متعقلات ، فلا يحسن حالهن بقهرهن على إطالة التفكير

*
* *

تفضل المرأة الرجل أو يفضلها على حسب متعلق حركة كل منهما . ولكنها لاتساويه فى موضع منها

*
* *

ليس للمرأة فى عالم الفنون والازياء الا ذوق مستعار

* * *

لاتغتفر المرأة للرجل أن يستنبط مايجول بخاطرها من خلال كلامها

* * *

اما أن تسود وإما أن تساد ، كذا شأن النساء ولا وسط

* * *

من المتعسر الاعراب عن المشاعر بألفاظ مناط معانيها العقل. فمحاولة تعقل الحب ضرب من الهزيان

* * *

لو صح للنساء كسب فضيلة الاخلاص ، لفقدن سلطانهن على الرجال

* * *

قلما يصدق الرجل المرأة الا إذا كذبت ، وهو بهذا يلجئها الى الـكذب غالباً

* * *

أصرار النساء والسياسيين عادة على انكار البديهيات ، هو أهم الاسباب التى تحمل الناس على الشك فيما يقولون

تلوم النساء الرجال لكونهم لا يفهمونهنَّ ، وأى عقلين تنافرا وتفاهما ؟

*
* *

انما يطيب المرء فى الحب بالكلام هرباً من سماع معقول

*
* *

الحب يرفع أو يخفض ، ولا يدع المرء كما كان

*
* *

لا تزال أفعال المرأة صادرة عن الالهام لذلك تفضل الحب ، وان كان خاملا ، على المجد وان علا

*
* *

عجباً للحب يخاف الريب . والشك ينميه ، واليقين يميته

*
* *

أبقى المشاعر أكثرها اعتدالا ، والافراط فى الحب مهدد بسرعة الضجر منه

*
* *

يشمر الحب إذا أبصر بالزوال

*
* *

من يحاول استبقاء حب ينصرم ، كمن يحاول استبطاء تعاقب الايام

٥

الآراء

آراؤنا على الدوام مقدمات لمعتقدات تتكون ولما تستقر

* * *

مصدر الرأى إما شعور أو دين أو عقل ، والأخير أندرها

* * *

رأى السواد الاعظم من الناس ليس قائماً بالدليل ، بل مبناه كراهية ، أو عطف ، أو رجاء

* * *

البيئة تلد الآراء . والشهوات والمنافع تقلبها

* * *

معظم الناس ضعيف عن الرأى الذاتى ، ولكنه يتناول ما يختمر من الرأى فى عشيرته

* * *

قل من يقدر على النظر فى الاشياء على حقيقتها : فمنهم من لايرى الا ما يريد ، ومنهم من لايرى الا مايريه غيره اياه

* * *

لا يتحصل للمرء مدى الحياة خمسة أفكار ذاتية أو ستة الا إذا كان عقله مطلقاً من كل قيد

*
* *

السبب فى أن الآراء السقيمة أعلق بالنفوس ، كونها قائمة على شعور أو دين ، مما لا سلطان للعقل عليه

*
* *

قد يتغير الرأى هنيهة من مطالعة كتاب ، ولا تلبث الاراء اللاتنبهية أن تعود إلى سلطانها

*
* *

التشدد فى الرأى يغلب على التسامح فيه ، لان الاول مبنى على الشعور أو الدين والثانى مبنى على العقل

*
* *

عدم التسليم برأي مبناه الشعور أو الدين ، تقوية له

*
* *

لا تخلق الجماعة الرأي ، ولكنها تكسبه قوة ، لان رأى الجماعة شديد العدوى

*
* *

قلما تجد فى هذا الزمان صحيفة بلغ من استقلالها أن تسمح لمحرريها برأى من عندياتهم

فقدان ملكة النقد ، يسهل قبول الآراء العامة اللازمة فى حياة الامة ، فاذا انتشرت روح النقد فى كل فرد من أفرادها ، حان حينها

***

قوة الرأى إذا عم لاتصد : من أوجده ملكه ، ومن لم يقدر على ايجاده وجب عليه أن يذعن إليه

٦

الالفاظ والصيغ

لامقابل للشعور من العقل . فلا يتيسر الاعراب عنه بلفظ مناطه العقل . وعليه يتعذر ترجمة المشاعر بالألفاظ ترجمة دقيقة

***

من الالفاظ مايشعر بوجود أفكار عدة لا تتناولها تلك الالفاظ

***

إذا شاع اللفظ تشعبت معانيه ، بحسب معقول مستعمليه

***

لا دواء لعدم التفاهم بين من اختلفوا جنساً ومكانة ، وذكورة

وأنوثة، فاللفظ بذاته يثير فى نفس كل معنى خاصاً، فكأنهم لا يتكلمون لغة واحدة

*
* *

ليس للألفاظ الدالة على صور ذهنية فى لغة، ترجمة محكمة فى لغة أخرى، فاللفظ يدل على صورة عند أمة، وعلى صورة تخالفها عند أمة أخرى

*
* *

قد تثير الألفاظ الواحدة معانى مختلفة، فى نفوس الذين تباين معقولهم، وتلك علة الخلف بين الامم فى أحوال كثيرة كما رواه التاريخ

*
* *

من ضرورات فن سياسة الامم، معرفة طائفة من الالفاظ المؤثرة، لان فعلها أشد من فعل الادلة العقلية غالباً

*
* *

لبعض الصيغ الدينية قوة سحرية هائلة. فكم من أناس ضحوا نفوسهم، فى سبيل أقوال لم يدركوا مراميها، وان تجردت عن كل معنى معقول

*
* *

أهمية المسميات فى السياسة، دون أهمية الاسماء، فكم نفذت

نظريات من الخرق بمكان ، في ظل ألفاظ حسنة الانتقاء

*
* *

لبعض الالفاظ والجمل ، قوة فى استحضار الصور . لكنها لاتدوم طويلا ، فتبلى ولا تعود ذات أثر فى الناس

*
* *

لايتغير اللفظ المخطوط الا ببطء . أما معانيه والصور التى يحدثها ، فسريعة الزوال ، وعليه لايدل الكلام القديم ، الا على معنى قديم

*
* *

اللسان يسبق العقل فى كثير من الناس ، أولئك إنما يعرفون مايجول بخواطرهم ، بعد أن يسمعوا ما يقولون

٧

الاقناع

١ — الالقاء فى النفس ، والتكرار ، والعدوى

التوكيد والتكرار والنفوذ والتلقين والعدوى ، خمسة أبواب لكتاب تام فى فن الاقناع

*
* *

الاقناع حمل المخاطب على العمل ، لا إلزامه الحجة

* * *

قد تلزم الادلة المخاطب الحجة ، ولكنها لا تحمله على العمل دائماً ، وأما التلقين والتكرار والعدوى ، فانها تنفذ الى المشاعر اللاتنبهية فتنقلب أفعالا .

* * *

عدوى العقول آكد عامل في نشر الافكار والمعتقدات ، وقلما تأتي المعتقدات السياسية من غير هذا السبيل ، ثم يحاول صبغها بصبغة المعقولات لتبريرها .

* * *

سبب خطأ الجماعات دائماً فى نظرها كونه فى الاصل خيال فرد تسرب الى الجماعة بالعدوى

* * *

متى ثبت فى النفوس رأى بالعدوى أو الالقاء ، اختفى هزيانه ، وقصر العقل عن النيل منه ، وساد هو على الارادة ، وقاد الخطى

* * *

إذا كثر تكرار النظريات الباطلة ، نزلت الى عالم اللاتنبهى وأمست بواعث للأفعال

* * *

نيل المراد بالالقاء فى النفس ، أفضل دائماً من نيله بالرهبة

* * *

ينحصر فن كبار قائدى الأفكار ، فى كونهم يخلقون فيمن يقودون أرواحاً جديدة

* * *

إذا أردت أن يكون لك سلطان مؤقت ، كفاك غالباً أن تقنع الغير بأنه لك

* * *

تقاد الامم باستثارة شهواتها ، أسهل مما تقاد بالاهتمام بمرافقها

* * *

إذا أردت أن تؤثر تأثيراً صحيحاً فى الامة ، فاقصد روحها اللانبهية ، واجتنب مخاطبة روحها الشاعرة

* * *

من عرف كيف يهيمن أو يخلب ، استغنى عن الخطاب ليقنع

---

٢ — النفوذ

ذو النفوذ غنى عن القوة

* * *

قد يغني النفوذ عن القوة ، ولا تغني القوة عن النفوذ

القوة تقهر النفوس على الطاعة ، والنفوذ ينزع منها خاطر العصيان

*
* *

لا طاعة بالاختيار من غير احترام ، ولا احترام لمن لا نفوذ له

*
* *

النفوذ يملأ النفوس إعجاباً واحتراماً ، فيعطل ملكة النقد ، ويسهل تأثير الالقاء فى النفس

*
* *

الخطأ يعده النفوذ ، أفعل من الحقيقة وحدها

*
* *

إذا فقدت الحكومات والامم نفوذها ، أوشكت أن تفقد كل شىء

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية

١

روح الشعوب

الشعب الصحيح لا وجود له الا عند القوم الاولين، أما الامم المتحضرة فان كثرة اختلاط التناسل ووحدة البيئة، ولدت منها شعوباً تاريخية جديدة تشبه الشعوب الصحيحة

*
* *

صفات الشعب النفسية ثابتة ثبات صفاته الجسمانية، وتنتقل بالوراثة على قاعدة واحدة وبالاستمرار

*
* *

قد يخضع السيف أمماً شتى لسلطان واحد، ولكنها تحتاج، فى تكوين روح ملئ عام، الى التناسل ووحدة أحوال الحياة عدة قرون

*
* *

تاريخ الامة عبـارة عن حكاية مجهوداتها ، لإقرار روحها والخروج من همجيتها

*
* *

قوة الامة بوحدة المشاعر المتولدة من تمـكن روحها الملى، أكبر من قوتها بالجند . فلقد ساد الرومانيون على الدنيا بروحهم، فلما أضاعوها أضاعوا ملـكهم

*
* *

التقهقر أسرع من التقدم ، فالامة تشيد بناء مزاجها العقلى فى أحقاب ، وتفقده فى زمن يسير

*
* *

الامة المتحضرة جماعة ثبت روحها ، بتراكم آثار الآباء والاجداد

*
* *

روح الامة الثابت فى حرب دائم مع روح الجماعة المتقلب، فالثورات عن عمل الجماعات ، وروح الجنس تؤثر في امتداد زمنها أو قصره

*
* *

لـكل شعب تاريخ . ولـكل دور من أدوار حياته نظامات خاصة ، وآداب وفنون وفلسفة كذلك ، ولا تحتمل غيرها ، وما

استعارت أمةمدنية أجنبية عنها ، إلا حوّرتها تحويراً كلياً

* * *

محاولتنا إلزام أهل مستعمر عادتنا وشرائعنا ، كمحاولة إبدال ماضي أمة أخرى

* * *

لا دوام لروح الآباء والاجداد ، ان لم تكن متصلبة وإذا لم يكن فيها بعض المرونة تعذر انطباعها على مقتضيات تغير البيئة الناشىء من تطور الحضارة ، وكان نصيبها عدم الرقى

* * *

لا يفل الوراثة الا الوراثة . والتناسل بين أفراد غير متساوين يفكك أواصر الروح الوراثى ، وكم هلكت أمم لجهلها هذا الناموس

* * *

الوطنية خلاصة ماترمى اليه روح الامة

* * *

المولّد رجل تتجاذبه مؤثرات مختلفة : من الوراثة ، والذكاء والآداب ، والاخلاق

* * *

أمة أهلها كلهم مولّدون لا تساس

* * *

الماضى لايموت أبداً ، فهو حى فينا ، وهو أقدم مرشد فى حياة الافراد والامم ، وما روح الاحياء الا مؤلفه من أفكار الاموات

***

ما أشد استبداد الاموات ، فى غالب الاوقات

***

خلق أفكار تؤثر فى الناس ، معناه نقل المرء جزءا من نفسه الى من يخلفه

٢

روح الجماعات

إذا اجتمع القوم . تولد فيهم روح كلى مغاير كل المغايرة لروح كل فرد منهم

***

روح الجماعات خاضع لمعقول خاص غير تنبهيّ ، هو معقول الجمع

***

الرجل فى الجماعة ليس هو الرجل الفرد ، لاختفاء ذاتيته ، واندماجها فى ذاتية الكل ، ولفقدان ملكة النقد ، والقدرة على

التعقل بالدليل ، فيصير رجلاً فطرياً ، له شجاعته ونزعاته وقسوته

*
* *

أخص مميزات الجماعة : سرعة الانفعال ، والتعجل بالغضب ، وعدم قابليه التعقل ، والغفلة المتناهية والتعصب الأعمى ، والخنوع للقواد

*
* *

الجماعة دون الفرد معقولا دائماً ، ولكنها قد تفضله في الشعور وقد تكون دونه فمن السهل صيرورتها شجاعة أو آثمة

*
* *

الجماعة كأنٔ ساذج ، لاتريد إلا بقوادها ، ولا تعمل الابهم ، فكأنما روحها معتقلة فى روحهم

*
* *

الجماعات مغالية فى مشاعرها ، وتطلب الغلو من قوادها

*
* *

التأثير فى الجماعة ، أسهل من التأثير فى الفرد

*
* *

علة غلو الجماعة فى تعصبها ونزقها ، اعتقادها بقوتها ، وعدم التبعة عليها

*
* *

الجماعة أكثر قابلية للشجاعة منها للفضائل

*
* *

لابد للجماعة من معبود : شخصاً كان ، أو مذهباً ، أو صيغة

*
* *

شدة قابلية الجماعات للتأثر ، تجعل مشاعرها متقلبة جداً ، فتراها تنتقل بالسهولة من الاعجاب الى الجفاء

*
* *

روح الدين المنتشر فى الجماعات ، يجعلها تظن فى الصيغ السياسية التى تشوقها ، أو فى الشخص الذى يخلب لبها ، قوة سحرية خفية

*
* *

الجماعة تعيش في جو قوامه التأثر والتدين ، فلا قدرة لها على استكناه مايراه الفرد واضحاً جلياً ، لذلك يغلب عليها الخطأ فيما ترى

*
* *

قلما تحفظ الجماعة من الحوادث ، غير جهتها التى أثارت الاعجاب ، لذلك كانت الاقاصيص عندها أبقى من التاريخ

*
* *

أول ماتطلب الجماعات آمال ، وهى بعيدة عن تصور الطوارى ، كثيرة التصديق ، فهى تقبل حتى الامانى التى لايحتمل تحققها

تتأثر الجماعات بالمشاعر، والهزات النفسية، والمعتقدات المطلقة تأثراً سريع الشيوع فيها، لا تنفع فيه حجة، ولا يوهنه دليل

* * *

التأثير كل التأثير فى الجماعات، للتوكيد، والتكرار، والعدوى، والنفوذ

* * *

لا يروج فى الجماعة فكر الا إذا صيغ لها فى قالب موجز قوى اللهجة

* * *

محبة الغير فضيلة اجتماعية، والمنفعة الذاتية الشديدة التأثير فى الفرد، لا تؤثر فى الجماعة الا قليلا

* * *

تتأثر الجماعات دائماً بالقوة، وقلما يستميلها المعروف

* * *

لا تحترم الجماعات الا الأقوياء، وقد كان احتقار الضعف على الدوام شعارها

* * *

تفضل الجماعات غالباً، المساواة فى الذل على الحرية

* * *

متى تفللت القيود الاجتماعية التى ترد الجموع عن الاسترسال مع شهواتها ، هوت على عجل الى درك الهمجية الاولى

* * *

قد يستفيد السياسى من نسبة الحكمة وسداد الرأى والاعتدال للجماعات . لكن اعتقاد هذه الصفات فيها ، يجعله غير أهل لتولى زمامها .

* * *

الاستسلام مرة للجماعة ، اعتراف بقوتها ، وقضاء على النفس بالرضوخ لحكمها على الدوام

* * *

تحل قوة العدد شيئاً فشيئاً محل العقل . غير أن العدد ، وان قهر العقل ، فانه لا يقوم مقامه

* * *

قلما تدرك الجماعات حقيقة ما يأتى على يدها من الحوادث

٣

روح الجمعيات

للجمعيات الكبيرة ، ما للجماعات من المميزات الاولية :

كضعف المعقول ، وسرعة التهيج ، وفجائية الغضب ، وعدم التسامح المطلق ، والخنوع للقواد

*
* *

ليس للجماعـة الا روح عرضية ، ان تألفت من عناصر مختلفة ، اجتمعت على غير موعد . لـكن إذا اتحدت العناصر ، كما فى الجمعيات السياسية أو الصناعية أو الطوائف ، تولد لها روح عام يستقر بوحدة المنافع

*
* *

لا تسير الجمعية السياسية غالباً سير الجماعة ، وان كانت خاضعة مثلها لمقتضيات الاجتماع النفسية . وذلك لاختلاف منافع الاحزاب التى تتألف منها ، ولان لـكل فريق قواداً

*
* *

الرجل العاطل يزداد قوة بانضمامه الى فريق ، والرجل الـكبير يصغر بذلك

*
* *

قد يتمكن بعض القواد ذوى الحدة والنفوذ ، من ضم جميع الفرق فى الجمعية الى جماعة خاضعة لارادتهم . وفى الجمعيات الثورية الـكبيرة أمثلة كثيرة لذلك

*
* *

كثيراً مايقود الروح الكلى الجمعية الى الاقرار على أمر لا يريده كل فرد من أفرادها بذاته . ولا يفهم تاريخ الثورة ، الا من تمكنت من نفسه هذه القاعدة

*
* *

لا يمكن التأثير فى قوم ، الا إذا بدىء بالتأثير فى دعاتهم

*
* *

الاقلية العنيفة الجريئة ، تقود على الدوام الأغلبية الخائفة المترددة

*
* *

الخوف من أكبر بواعث العمل فى الجمعيات السياسية وشدة الخوف هى التى تحملها أحياناً على كل شىء من الاقدام

٤

حياة الامم

ليست الكثرة شرطاً فى صلاح المبادىء الكلية لسير الامة. وانما اللازم هو استقرارها فى الاذهان واحترامها من الكافة

*
* *

يتوقف مصير الأمة على خلقها ، أكثر مما يتوقف على ذكائها

تطور الامة محكوم بروح آبائها الاولين ، ولا تؤثر الانقلابات السياسية الا فى مظاهر ذلك الروح

*
* *

من عوامل القوة فى الامة : الاحتفاظ بنظاماتها الاصلية، وتقاليدها الاولية ، والتأنى فى تعديلها شيئاً فشيئاً . وقلما وجد بين الامم من حقق هذا المقصد الا الرومان قديماً ، والانكليز فى هذا الزمان

*
* *

ما حاولت أمة أن تنخلع عن ماضيها ، الا قلبت حالها رأساً على عقب

*
* *

نير العادة يبهظ الفرد ويعطل حركته ، ولكنه يقوى الامة ويزيد فى مكنتها

*
* *

خلو الامة من ماض كالولايات المتحدة : قوة لها ، وضعف فيها معاً

*
* *

لا تستطيع أمة أن تنقل الى أمة نظاماتها ، كما أنها لا تستطيع

أن تنفخ فيها روحها

*
* *

ليس الفتح الدائم الأثر ، فتح البنادق والمدافع . وانما يدوم الفتح ، متى تولد بين الغالب والمغلوب ، اشتراك فى المشاعر ، والمنافع ، والافكار

*
* *

لاتكون الامة قوية فى الواقع ، الا إذا كثرت المنافع المشتركة بين طبقاتها . لأن الفرد يعمل إذ ذاك لمصلحة الكل ، مدفوعاً بحب الذات

*
* *

إذا كانت الروح الملية متمكنة من أمة ، انمحت الخلافات السياسية عندها على عجل ، أمام كل حادث له أثر فى مصالحها الكلية

*
* *

الامم اللاتينية أسرع الى التعب من الحرية ، منها الى الضجر من العبودية

*
* *

إن لم يكن للأمة ضابط من نفسها ، فعليها احتمال ضابط من دونها

رقى الامة بنخبتها ، وقوتها بأواسطها

*
* *

لا يفيد فى حياة الامة الا مجهود دائم . أما المجهود المتقطع فقد يحدث انقلاباً ، لكنه لا يوجد رقياً دائماً

*
* *

إذا كثر النسل فى أمة ، تعسر عليها البقاء هادئة ، واندفعت الى شن الغارة على جاراتها ، ممن وقفت حركة النسل فيهن

*
* *

لا تمحى الاوهام أبداً من نفوس الامم ، فلا تزال تعتقد بقوة تأثير القوانين والنظامات والحكومات ، وان فى قدرتها تغيير مجرى الحوادث كما تشتهى

*
* *

روح الرجل فى بداوته متأثرة بروح جماعته . لذلك ضعف الفرق بين الروحين

*
* *

تشتمل الحضارة الراقية على رواسب من جميع المراحل التى قطعتها ، فلا تزال فيها بقية من تقاليد سكان الكهوف ، وشىء من روح البرابرة أصحاب (آتيلا)

*
* *

لن يأتي برابرة الغد من الخارج ، بل يخرجون من تلك الجموع التي تخلفت عن اللحاق بالحضارة وهى سائرة فى طريق رقيها

* * *

مهما انحطت كفاءة رجل ممن يقال لهم رجال الدولة ، فان قوة حكمه فى الامور ، وبصره بها ، أكبر من قوة جمع من السياسيين وبصرهم . لان هؤلاء يكتسبون من اجتماعهم معقول الجماعة ، وهو من درجة منحطة . لذلك ساء حال أمة جرت على رأى المؤتمرات

* * *

حضارة أمة رداء روحها ، وشامة ظاهرة تدل على القوى الخفية التى تسيرها

* * *

الحضارة تستخدم العلم ، ولكنها لا تقوم عليه

* * *

اليقين المتين يمنع أهله ، الا إذا لقوا من هو أشد يقيناً

* * *

تخرج الأمم من الهمجية ، بما تضع لشهواتها من القيود . فاذا كسرتها ، عادت الى همجيتها

* * *

لا ترقى الامة بحكومتها أو ثورتها ، بل باجتماع مجهودات أفرادها

*
* *

الامم كالعناصر الحية : تزال إذا طال الامد عليها وهى واقفة مكانها ، متعلقة بماضيها . فتفقد بذلك ملكة الانطباع على مقتضيات فائدة غير حياتها

٥

النظامات والقوانين

لا حياة لقوم مجتمعين الا قهراً . وأيسر القهر قبولا قهر القوانين

*
* *

حاكم الأمم معقولها ، لا ما تلتزمه من النظامات . فوجب أن تكون هذه صادرة عن ذلك المعقول . ورب قانون نافع فى أمة ضار فى أمة أخرى

*
* *

ليس من وظيفة القوانين الاشتغال بالقواعد المنطقية لانها بنات حاجات مستقلة عن هذه القواعد

يجب أن تكون القوانين مقررة لحاجات الامة لا لشهواتها ، فان بنيت على الشهوات لا تدوم

* * *

القوانين تقرر العادات ، وقلما تحدثها

* * *

القانون الذى لا يقتصر فيه على تقرير مألوف ، أى تجربة سابقة ، انما يسجل جهل واضعه بالمستقبل

* * *

تطور مقتضيات الحياة ، أسرع من تطور القوانين ، فعلى القضاء أن يكمل النقص ، ويجمع بين النص والمصلحة

* * *

لا تحدث مشاعر الامة من نظاماتها ، لأن الثانية ثمرة الاولى

* * *

النظامات التى تلتزمها الامة بقاهر الاوامر ، تحدث دائماً اضطراباً فى العوامل السياسية . غير أن المقتضيات الطبيعية لا تلبث أن تعيدها الى نظامها

* * *

القول بقدرة النظامات على حمل الامة على التطور ، كما يذهب

اليه المتسيسون ، جهل بأن وراء الحوادث الظاهرة ، قوة خفية هى العلة فيها

* * *

إنما زادت القوانين فى الأدواء التى وضعت لعلاجها ، لأن الذين وضعوها لم يفقهوا آثارها

* * *

قد يكون القانون ظالماً ، فاذا لم يقصد به فريق دون فريق فلا تحكم فيه

* * *

إذا انسل القوم من سلطان القانون ، عاجلهم الاستبداد

* * *

توشك المخالفة يعم ارتكابها ، أن تصبح حقاً سائغاً

* * *

لا مقوّم للقوانين الا القوة ، لذلك هى لا تدوم كثيراً

* * *

من السهل تغيير القانون على القرطاس ، إلا أن ذلك لا يغير من روح الأمة شيئاً

٦

الحق

الطبيعة تجهل الانصاف ، والعدل من صنع الانسان

* * *

الحق يكون حيث القوة تؤيده

* * *

لا يستنجد بالعدل قوى

* * *

لا قيمة للحق ولا للعدل بين أمم اختلفت قواها

* * *

الحق لا يعترض القوة ، فكأنهما شيء واحد ، إنما الحق قوة مستمرة

٧

الأخلاق

ليست نواميس الأخلاق أموراً فرضية ، ولكنها ضرورات لازمة .

* * *

أخلاق كل زمن خلاصة حاجاته ، وكل مجتمع لابد له بمقتضى وجوده من ميزان يتميز به الخير من الشر

*
* *

لا بقاء لحضارة من دون أخلاق ، فمهما اشتدت صرامة القانون لتأييد مبادئ الاخلاق ، لا تعد شدتها غلوا

*
* *

لما كانت الأخلاق نتيجة ضرورات الأمة ، في كل دور من أدوار حياتها ، لزم أنها تتطور بتغير تلك الضرورات

* *
*

ما كل ضرورة حقيقة ، يستوى فى ذلك الاخلاق والقانون. لكن من العبث الجدل فى الضرورات

* *
*

لا ثقة بالاخلاق إلا إذا صارت غير تنبهية ، بفعل الوراثة والتربية والقوانين

*
* *

لا تكتسب الاخلاق قوة صحيحة ، إلا إذا صار الناس لا يعدون مراعاتها من الفضائل الممتازة

*
* *

إذا جرت الفضيلة بغير جهد فهى ملكة لا فضيلة

من الخطأ الضار ، محاولة بناء الاخلاق على المعقول وحده ، كما ذهب اليه كثير من الفلاسفة. لانه إذا لم يكن للاخلاق سند من المشاعر والروح الدينى ، فلا بقاء لها ولاقوة

*
* *

إنما تكتسب الاخلاق بمزاولتها ، فهى كالفنون من المعلومات التى لاتكتسب من الكتب

*
* *

البيئة والقدوة مؤثران كبيران فى الأخلاق

*
* *

قد تقطع الامة قروناً حتى تكتسب أخلاقاً ، وقد تضيع ما كسبته فى بضع سنين

*
* *

أخلاق كل أمة مقياس كفاءتها

*
* *

أقل حظ للامة من الاخلاق ، ما أمرت به القوانين ، وقامت الشرطة بحراسته ، فاذا لم يراع هذا النذر فتلك فوضى الأخلاق

*
* *

هناك مرتبة أخلاقية أرقى من مرتبة الاخلاق المأمور بها

فى القانون ، وهى التى تفضل فيها منافع الكل على المنافع الخاصة وقد تعيش الامة بالمرتبة الاولى ، أما رقيها فتوقف على الثانية

*
* *

مما يصح اتخاذه شارة قوية على سقوط الامة ، انحطاط أخلاق الطبقات المحكومة

*
* *

لما لم يكن بين الامم قانون عام معترف به من الكل ، فشلت مساعى الذين يقولون بعلم أخلاق عام ، والمعروف منه هو ماتعرفه جمعية من الذئاب : افتراس الضعيف وخوف القوى

*
* *

الشعور الواحد يكون فضيلة أو رذيلة ، نظراً لفائدته الاجتماعية . فالاثرة تعد فضيلة ، إذا اتصفت بها العائلة أو القبيلة أو الوطن بأكمله ، كذلك الخيلاء فى الفرد عيب ، وفى الجماعة فضيلة

*
* *

لاينْدر أن يكون الخلق الواحد فضيلة فى الفرد ، وعيباً فى المجموع ، فلو لانت طباع أمة إلى حد أنها لا تثأر لنفسها من اهانة لحقتها ، أصبحت هزءاً بين الامم

*
* *

التسامح ممكن بين الافراد ، ومتعذر بين الامم

ربما كان عدم التسامح فضيلة فى الامة ، تدفعها إلى عمل وجب

* * *

إذا أخذنا با ثار مذهب حب الانسانية ، صعب علينا التسليم بأنه من الفضائل ، بل رأيناه أشد أعداء علم الاخلاق ، لانه إذا عظم ذلك ضعفت هذه

* * *

تزداد الجرائم فى الامة ، بتقدم مذهب حب الانسانية فيها لانه يقلل من دواعى الزجر ، فيضعف بذلك ما فى العقوبات من الردع

* * *

إذا أغضيت عن الضرر ، فقد ساعدت على انتشاره

* * *

سرعة أهل هـذا العصر فى هـدم الاخلاق ، أكبر من سرعتهم فى تحصيلها

* * *

لاتدفع الفضيلة صاحبها دائماً إلى العمل ، وقد كانت الرذائل أهم بواعثه : كالكراهية وحب الانتقام والغيرة والميل إلى السلب وهذه النزعات هى التى تجعل أوروبا على أهبة من الحرب دائمة

* * *

الرجل الفاضل يتسلى عما يلتزمه من الحرمان ، بما يحدثه في نفس الغير من الضجر

* * *

العمل المجرد عن المنفعة الذاتية ، يعظم فاعله أمام نفسه . وكثيراً ما يجب عليه السرور ، أكثر من الاعمال ذات الفائدة الشخصية

* * *

الشجاعة الصغيرة الدائمة ، أصعب مزاولة من الاقدام الكبير عرضاً

* * *

من أقوى دعائم الاخلاق ، الخوف من نقد الناس

* * *

تعلو حضارة الامة بقدر تمكنها من ضبط نفسها ، أعنى بقدر ثبات أخلاقها وتمكنها

* * *

اذا تداعت أخلاق الامة ، عاجلها الفناء

٨

الغاية

مبنى الرجاء فى الحياة شعور فطرى وتدين ، وقد قالوا انه يرجع أيضاً الى نظريات عقلية ، غير أنا لا نعلم غاية تولدت من تلك النظريات

*
* *

الثورة والفوضى دليل على حدوث أمر خطير فى حياة الامة وهو تغير غايتها

*
* *

من كانت غايته فداء معتقده بحياته كالثوريين الروسيين ، تعذرت استمالته

*
* *

لاقوة لامة ليس لها غاية يجمع على احترامها ، وتلك الغاية هى التى تهديها فى حياتها كما تهتدي الباخرة بالبوصلة

*
* *

اذا عظمت غاية أمة وقلت حاجاتها ، تغلبت دائماً على الامة التى ضعف غايتها وكثرت حاجاتها

هدم غاية فرد ، أو طائفة ، أو أمة ، تجريد لها مما به رابطتها ومجدها وحركتها

*
* *

الوطن مشخص حياة الآباء والاجداد ، فهو غاية طلبها من أمتن الاسس الاجتماعية

*
* *

تفنى حياة الامة فى تكوين غايتها وفى هدمها

٩

الأرباب

لا تؤمن بكثرة الأرباب ، فما عبد الناس فى جميع العصور إلا رباً واحداً ، وان اختلفت الأسماء ، وذلك المعبود هو الأمل

*
* *

ما الروح الدينى الذى ساد فى جميع الازمان الا اعتقاد بسلطان خفى لمؤثرات علوية مثلت فى النصب والأزلام والصيغ الكلامية

*
* *

كثيراً ما غير الانسان اسم ما عبد من الأرباب ، لكنه ما استغنى عنها فى زمن من الازمان ، كأن التدين حاجة من حاجات

العقل لايؤثر فيه مؤثر أبداً

*
* *

قد يستعلى الروح الدينى على المشاعر إلى حد أنه يعطل فى المرء غريزة المحافظة على الذات

*
* *

الشجعان والارباب صورة شفافة لما للأمم من النزعات الخفية

*
* *

الدين عنوان عاقلة الامة

*
* *

تتطور الأرباب وتبقى الأصول التى جاءت بها الكتب على حالها ، وانما الذى يتغير منها هو معناها ، فانه يختلف باختلاف الامم والأزمان

*
* *

مظهر الدين مستقل عن الاصول التى يستقى منها فلقد كانت العاقلة واحدة عند يعاقبة (الهول) وقسوس (محكمة التفتيش)

*
* *

ضعف الانسان عن الحياة بلا يقين ، ففضل المعتقدات وإن وهن أساسها على الزندقة وان وضح برهانها

*
* *

لو انتشرت الزندقة لصارت ديناً لا قبل لأحد بمعارضته كما هو شأن الديانات القديمة

* * *

عدم احتمال المناظرة من بعض ذوى العقول المطلقة ، آت فى الغالب من تشبعهم بالروح بالوراثة وهم لا يشعرون

* * *

الخلو من الاعتقاد هو فى الغالب يقين يعفى صاحبه من تعب التأمل والنظر

* * *

ميل المرء الى تعقل دينه خطر دائم

* * *

لقد أفادت الديانات الامم باحداثها الامل فى الحياة الباقية أكثر من جميع من خلق الله من الفلاسفة والحكماء

* * *

انما الديانات قوة ينبغى الانتفاع بها لا معارضتها

* * *

اذا صح أن الدين كان سبباً فى تأجيل اكتشاف بعض الحقائق العلمية فمن المشكوك فيه أن الانسان كان يستفيد كثيراً من هذه الحقائق فى الادوار الأولى من تطوره

انما تظهر منفعة الارباب بعد هدم معابدها

* * *

العقل خالق الرقى غير أن مشيدى الديانات هم قواد الأمم ولا يزال عظماء الخياليين مثل (بوذا) و (محمد) يخضعون الملايين من الخلائق بجلال أحلامهم

* * *

قلما تعيش الامم بعد موت معتقداتها

١٠

الفن

ظهرت الفنون دائماً قبل الفلسفة والعلم ، لأنها بنت مشاعر الأمم وروحها الدينى ، وسيادة هذين الأصلين سابقة على سيادة العقل ، لذلك صح ازدهار الفنون فى أعصر الهمجية

* * *

الفنون ولا سيما الموسيقى لغة المشاعر والروح الدينى ، والكلام لغة العقل

* * *

يصغر الفنى إذا استعمل عقله بدل شعوره

* * *

لما كان الفن ابن المشاعر، تعذر التعبير عنه الا من جهة أجزائه الاصلاحية

* * *

الفن كالسياسة . زمامه بيد بعض القواد . والجموع من خلفهم

* * *

الجميل ما أعجبنا . والاعجاب لا يصدر عن ذوقنا الخاص بمقدار ما يصدر عن مشاعر بعض ذوى النفوذ الذين تؤثر فينا عدواهم العقلية، فتحملنا على أن نحكم حكمهم

* * *

ليس للتنسيق قواعد ثابتة، ولهذا احتقر السلف المبانى (الغوطية) ورسوم بعض المصورين قبل أن يعجب بها أهل هذا الزمان

* * *

يحدث فى بعض الأحايين جو خاص يسود فيه على الناس ذوق واحد وشعور واحد وإن بلغ استقلال فكر بعضهم ما بلغ

* * *

عدوى الفنون شديدة التأثير الى حد أنها تلبس صنع بعض الأزمان ثوباً عائلياً يستدل منه على زمن ظهورها

* * *

يتأثر الفن تأثراً شديداً بالمكان والأمة الى حد أنا لا نجد أمة

استعارت فن أمة أخرى الا حورته وبدلته ، ولا عـبرة ببعض الظواهر الدالة على خلاف ذلك

*
* *

الطرف الفنية الفائقة الصنع تصدر عن شعور لا تنبهي ، فان كانت تنبهية فهي شخصية ولا تدل على روح العصر الذى صنعت فيـه

*
* *

الموسيقى تثير في النفس خواطر مبهمة تصحبها انفعالات شديدة ، لذلك يسهل تأثيرها فى غير ذوى العقول الكبيرة متى رق شعورهم ، ولقد أصاب من قال . انها فن النساء والجماعات

*
* *

رجل الفن يبتدع وان احتذى

١١

الطقوس والرموز

الطقوس والرموز ، أعنى الاحتفالات والاعلام والأعياد العامة والعرف المألوف فى عـلاقات الناس بعضهم مع بعض كلها فوق إرادة الانسان . وهى أقوى سند تقوم عليه الحياة الدينية والاجتماعية

*
* *

من ظن أنه أكبر من أن يتقيد بطقوس أمة واحتقر تقاليدها فهو أجنبي عنها

إنما تصير المعتقدات الفردية عامة بعامل الطقوس والسنن

* * *

إذا تجرد القضاء من الطقوس والرموز فليس قضاء

* * *

يقوم المعتقد الديني أو السياسي على اليقين به ، لكنه لا يدوم الا بالطقوس والتقاليد

* * *

بلغ من أخذ الطقوس والرموز بالنفوس أنها تبقى بعد زوال المعتقد الذى حدثت لأجله

* * *

أكبر الناس استقلالا وأشدهم إطلاقا فى الفكر ، يخضعون حياتهم طوعاً لطقوس سياسية وعرف جار فى روابطهم الاجتماعية أو الشخصية تنزع منهم الحرية الصحيحة

* * *

الطقوس تخلص الانسان من شر التردد : فبها يعرف بلا تأمل مايجب قوله وفعله في جميع الاحوال

* * *

أهم طقوس الأمم تقاليدها من عمل أسلافها

* * *

الفصل الثالث

الحياة القومية

١

الدِّين والعِلم

الدين والعلم طريقان تجرى فيهما حركة الانسان ، وليسا من أصل واحد

* * *

لا يكون العلم أبداً إلا تنبُّهياً وعقلياً ، أما الدين فغير تنبهيّ ولا دخل للعقل فيه

* * *

أخف مميزات الدين أنه لا يتغير بالنظر ولا بالتعقل ولا بالتجربة

* * *

تحصيل أحقر المعلومات العلمية يقتضى جهداً كبيراً وتحصيل

الاعتقاد الدينى لا يقتضى من الجهد شيئاً

* * *

ينتشر العلم بالكتب ، والدين بالرسل

* * *

العلم أكبر العوامل فى تقدم الحضارة المادىّ ، والمعتقدات تقود الافكار والمشاعر ، فهى هادية المرء فى حركته

* * *

العلم يقرر الحقائق ، والمعتقدات تمثل الرغبات ، لهذا فضّل الناس المعتقد على العلم

* * *

الدين يكسو الخيال المتولد عن الرغبة صورة الشىء الواقع ، وإنما العلم هو الذى يوجد الحقائق مجردة عن الرغبات

* * *

المعتقد السياسى أو الدينى أو الاجتماعى أمر وجدانى لا تنبهى ولا يدركه النظر إلا وقد رسخ فى النفوس

* * *

قوة المعتقد راجعة إلى ما يولده فى النفوس من الآمال ، وما يحدثه من الصور الذهنية التى تقتضى السعادة

* * *

لن تجد فى التاريخ معتقداً سياسياً أو دينياً رده النظر والاستدلال فالعقل يتحطم دائماً على أسوار الدين

* * *

الدين التزام لا استدلال : فاذا ما بحث الناس فيه فذلك لكونه ضَعُفَ ومال إلى الزوال

* * *

قلما تجد من يخاطر بحياته فى نصرة حقيقة عقلية ، ولكنك تجد عشرات المئات يضحون حياتهم لما يعتقدون

* * *

يعيش أهل كل زمان بقليل من المعتقدات السياسية والدينية والاجتماعية ولا يتحولون عنها إلا بكر الدهور أو بحلول معتقد جديد

* * *

إيجاد معتقد ، إيجاد وجدان جديد ، تصدر عنه حركة جديدة فى سير الناس

* * *

أقل تغيير فى معتقد أمة ، يغير من مصيرها

* * *

إذا احتدم الخلاف فى بحث ، صح القول بأنه من طائفة

المعتقدات لا من مباحث العلم

* * *

ليس العقل هو الذى يقوم فى وجه المعتقدين يضطهد الدين من السياسة ، بل هذان معتقدان اعترض كل منهما صاحبه

* * *

الخلف على المسائل العلمية سهل الاحتمال ، ولا احتمال فى خلف دينى لذلك كان التنازع الدينى أو السياسى دائماً شديداً

* * *

التشدد مصاحب للمعتقدات القوية ، وهو بين أهل المذاهب فى المعتقد الواحد ، أشد منه بين أهل مذهبين مختلفين

* * *

إنما يبحث العقل عن اليقين فى المعتقدات غالباً

* * *

الفرضيات معتقدات يظنونها فى الغالب معلومات

* * *

لما كانت أحوال المعتقد غير خاضعة لمقياس العلم ، فتصديق العالم والجاهل بها سواء

* * *

إذا استولى المعتقد على المرء سهل عنده جمع النقيضين عقلا

لا يعيق انتشار المعتقد ما فيه من الخطأ والهذيان ، لأنه ليس مبنياً على النظر والاختيار

*
* *

عدم تصديق الشيء الممكن يجعله مستحيلا ، ومن قوى اليقين جعله بالمستحيل

*
* *

المعتقد القوى يحدث الارادة القوية ، فلا تقوى عليه إرادة ضعيفة

*
* *

خلق الانسان فى حاجة إلى معتقد يهدى فكره وأعماله ، ولما تقم مقامه الفلسفة ولا العلم

*
* *

أوجدت المعتقدات مصنوعات فنية من العدم ، ما كان لمجرد العقل إيجادها

*
* *

المعتقدات تقوم الأمم ، وإن ضعفت فى نظر العقل ، وهى التى تمنعها من الوقوع فى همجية لا رابطة بين أفرادها ولا قوة فيها

٢

التعليم والتربية

التربية فن تنتقل به المعقولات إلى مشاعر

*
* *

إذا حسنت تربية الشعور اللاشعوري ملكناه وأفادنا ، وإذا ساءت ملكنا وأضر بنا

*
* *

قيمة المرء خلقه لا علمه كما يذهب اليه أساتذة التعليم عندنا

*
* *

عدة المرء الداخلية المتينة فى خلقه لا فى علمه ، فان لم تكن له هذه الأداة ، أصبح ألعوبة فى يد الأحوال والظروف

*
* *

من أكبر خطأ اللاتينيين اعتقادهم بتلازم التعليم والاخلاق والذكاء

*
* *

ليس التعليم تربية فالأول يغني الحافظة ، وأما التربيـة فانها تولد فى الانسان ميولا نافعة ، وتمكنه من قمع الميول الفاسدة

*
* *

يكفيك لتعليم رجل من الهمج بضع سنين ، وقد تحتاج إلى قرون فى تربيته

* * *

إنماء الفكرة وملكة الحكم والهمة والثبات ، أشد لزوماً من تكليف المرء رص الجمل الباردة كما تفعل المدارس الآن

* * *

حصر العقل فى دائرة صناعية ، وافقاده قوة النظر والتأمل ، نتيجة محققة من طريقة تعليم أحوال الدنيا بين سطور الكتب

* * *

تعلو الرجولة بالعلم أو تنحط ، بحسب طبيعة عقل من يتلقاه ، ولا يستفيد من المعارف العالية إلا أهل العقول السامية

* * *

إذا أردت منحط الفكر على علم راق ، فقد أفسدت عاقلته ، وضعفها يفقده ملكاته الفطرية فيصبح فى عالم المعقول كالمولدين

* * *

دلت التجارب المتكررة فى الألوف من أهل المستعمرات على أن التعليم الذى لا يناسب حالة المتعلم يضعف الذكاء ويحط الخلق والآداب

* * *

ما أشد خطر القضايا الكلية مجردة عن مناشئها ، فانها تؤدّى الى الاستهتار وسوء الفهم

*
* *

لابد من جهد كبير قبل أن تصير العادات الطبيعية غير تنبهية فى الانسان ، فاذا تمكنت منه مكنته من العمل بلا عناء

*
* *

اذا ضبطت حركات العقل وسيرت فى سبيل قويم ترقى ، وان كان فى الاصل ضعيفاً

*
* *

كسب ملكة ضبط العمل يكسب فن توفير الوقت ، وذلك يؤدى الى اطالته

*
* *

محاولة تعليم الاحداث أشياء كثيرة تجعلهم لايحرزون شيئاً ، وقد غفلت مدارسنا عن هذا المبدإ الاولىّ

*
* *

ينبغى أن يكون المربى قادراً على أن يميز ما فى كل تلميذ من الملكات الطيبة القابلة للرقى ، أما اذا ترك اختيار الدرس والحرفة الى الاتفاق انحط عمل المتعلمين

*
* *

من أكبر أوهام الديمقراطية ، تخيلها أن التعليم يسوى بين الناس ، وهو لا يصلح فى الغالب الا فى تجسيم الفروق

*
* *

الامتحان الذى يدور على قوة الحافظة يزيد الفروق الاجتماعية أكثر من طريقة الخلف . والغالب أن هـذه الفروق تكون غير عادلة

*
* *

آل الامر بطريقة التربية عنـدنا الى إيجاد نخبـة من أهل الحافظة ، لاعلاقة بينها وبين نخبة أهل العظمة وقوة الحكم

*
* *

التعليم إما أن يربى الحافظة ، أو ملكة النظر . ويتخرج عن الاول أهل اللسن وعن الثاني أهل الجد والعمل

*
* *

استقر التعليم بالاستظهار في الأمم اللاتينية وحدها فصار علة كبيرة في ضعفها ، لأن نتيجته تفويض الوظائف الاجتماعيـة الـكبرى الى أناس هم غالباً من ذوى الـكفاءة المنحطة

*
* *

اختيار طريقة التعليم أهم في مصلحة الامة من اختيار حكومة مناسبة لها

٣

الطبقات الممتازة فيها

لاتقاس قوة الامة بعدد أهلها بل بقيمة الطبقة الممتازة فيها

*
* *

نخبة الامة صناع حضارتها فلا ترقى الا بهم ، واذا فقدتهم حاق بها الفقر وتولتها الفوضى

*
* *

العامة خزانة قوة الامة ، لكن لاتنفع هذه القوة الا اذا وجهتها الخاصة فى الاغراض العامة

*
* *

الاختراعات الراقية أفرادية دائما ، ويعم نفعها متى صارت فى ملك المجموع

*
* *

اذا اجتمع أفراد ممتازون بطلت ميزتهم ، لأن العقل الممتاز لايبقى كذلك الا اذا دام منفرداً

*
* *

تنوعت أسباب الامتياز الى حسب ونبوغ ومال ، وما استغنى العالم قط عنها

لما كانت الملكات العقلية وراثيـة كما كان الشرف كذلك قديماً ، لزم أن الجماعات ، وهى من طلاب المساواة المطلقة ، تعد التمايز العقلى اجحافا كالتمايز بالشرف

*
* *

تنازع الجموع الجاهلة والطبقات الممتازة التى هى روحها ، دليل على بقاء الحياة القومية . والتاريخ يدلنا على أن غلبة العـدد كانت دائماً نذيراً بزوال الحضارة

*
* *

ماسادت الحضارات العظمى الا بتمكنها من ضبط عناصرها الدنيا

*
* *

الخاصة تبنى والغوغاء يهدمون

٤

النظريات الفلسفية

العقل أقرب للانشاء منه للتفسير، فقد غير وجه المسكونة، ولكنه لما يبين لنا الناموس الخفى الذى تتطور بمقتضاه الحشائش

*
* *

البون شاسع بين عاقلتنا ونظام الكون ، فلا أمل لنا باكتناه سره

* * *

إذا قيل أن كل ما لا يدركه العقل معجزة . فحياة كل كائن معجزة دائمة

* * *

بعدت الشقة بين القوى الخفية التى تبدىء الكائنات وتنميها وتعدمها وبين ادراكنا ، حتى انثنى العلم فى هذه الأيام عن محاولة تفسيرها

* * *

أصغر الخليات الحية يحمل ماضياً عتيقاً ومستقبلا غامضاً

* * *

رأينا الفلسفة تجيب فى غابر الزمن على : هل العالم قديم أم حادث ؟ حقيق أم خيالى ؟ وهل جنس الانسان أبدىّ أو قابل للعدم ؟ ونجدها الآن قد تراجعت عن الجواب

* * *

من المسائل الخطيرة ما ينبغى عدم التعمق فيه : كمن أين أتينا ؟ والى أين نسير ؟ حتى يكون لها لباس من الشك لا يزول معه كل أمل للانسان

ربما كان أفضل نظريات الحياة الثلاثة وهى الرجاء واليأس والاستسلام هذا الأخير ، لكنه أقلها حملا للانسان على العمل

*
* *

المرء فى الحياة بين حرب معها ، أو انطباع عليها

*
* *

أبان العلم أن المادة غير خالدة ، فهدم أحد مقاصد الفلسفة التى بقيت لها

*
* *

الفلسفة الحقيقية للوجود فى جانب ، والفلاسفة فى جانب ، فلا يد لهم فى تكوينها

*
* *

قد تبطل النظريات الفلسفية ، لكن لابد للانسان من فلسفة يرى الحوادث من خلالها

*
* *

آخر ما وصلت اليه الفسلفة ، أنه لاقدرة للعقل حتى الآن على فهم أسرار العالم

*
* *

لكل حادث سر ، والسر هو الروح المجهول فى الاشياء

٥

المبادىء العلمية

إنما العلم فى الحقيقة خروج من الانسان على الطبيعة وجهد يحاول به التملص من القوى العمياء التى يئن تحتها

*
* *

كان الانسان فى أول أمره يرى تسخير الطبيعة إياه قدراً مقدوراً . فلما تمكن بالعلم من تحليل الاقدار ، جعل يجردها شيئاً فشيئاً من صبغتها القدرية

*
* *

اللزوم شىء والقدر شىء آخر ، فقد يتبين من تعرف لزوم الأمر أنه غير مبرم

*
* *

قالوا ان علة نظام الكون سابقة فى الأزل ، والواقع أنه ثمرة التوازن اللازم بين القوى التى يتكون منها

*
* *

حياة الحقائق العلمية مهما كانت دقيقة فهى قصيرة

*
* *

مبنى كل علم مبادىء معدودة : فعلم الكيمياء قائم على مبدأ عدم تغير المجموع ، كما أن الطبيعة والميكانيكا قائمتان على مبدأ حفظ القوة

*
* *

المبدآن الثابتان للكون هما المقاومة والحركة ، ومصدر الاولى السكون ، ومنشأ الثانية القوة

*
* *

تتولد صور القوة وحوادث الحياة من اختلال التوازن الكوني الناشىء غالباً من اختلاف السموت (١)

*
* *

تقدم العلم سريع فى استقراء الحوادث ، وهو مستقر مكانه منذ زمن فى بيان عللها

*
* *

قدم العلم ثابتة ، لكنها على جزيرة صغيرة فى بحر من المجهولات لايدرك غوره

*
* *

تقدم العلم إنما ينقل حدود المستحيل من مكان الى مكان عالم اللانهائى

---

(١) جمع سمت

حسب الماديون أن مذهبهم يحل محل الدين ، غير أن المادة أصبحت سراً من الاسرار كالأرباب الذين جاءت هي لتحل محلهم

*
* *

ربما كان تقرير القضايا العلمية ستاراً يختفي من ورائه التردد في تقرير حقيقة المبادىء

*
* *

من مميزات العالم على الجاهل معرفة الأول أين يبدأ الغموض

*
* *

اذا وصلت نظرية علمية إلى حد الجمود وقف الرقي من جانبها

*
* *

يتولد عن العلم من الاسرار الغامضة ، أكثر مما يكشف لنا منها

٦

المادة (١)

ظنوا قديماً أن المادة لا تفنى ، وهى تزول على مهل بتفكك ذراتها المستمر

* * *

من متحصل تحول المادة عن ماديتها ما له خواص تجعله وسطاً بين الاجسام القابلة للوزن وبين الأثير الذى لا يقبله ، وهما أمران كان العلم يفرق بينهما تفريقاً كلياً الى هذا العصر

* * *

ظنوا قديماً أن المادة جامدة لا تصدر منها إلا قوة تكون قد اكتسبتها من قبل ، والواقع أنها مصدر هائل للقوة المسماة القوة الكامنة فى الذرات وتلك القوة قابلة للانتشار بذاتها

* * *

(١) قال المؤلف : كانت القضايا التى ستمر عليك جديدة جداً لما صغتها أول مرة وهى خلاصة أبحاث وتجارب دامت نحو عشر سنين وضمنتها ثمان عشرة رسالة جمعت فى مؤلفين وهما (تطور المادة) و (تطور القوى) وقد عدلت عن هـذه الابحاث لما كثرت نفقتها وعدت على مضض الى الابحاث النفسية

أغلب قوات الكون وعلى الاخص الكهربائية وحرارة الشمس آتية من القوة الكامنة فى الذرات والتى تنتشر من تحلل المادة

*
* *

القوة والمادة صورتان لشىء واحد فالمادة صورة من صور القوة الكامنة فى الذرات وهى اكثر استقراراً، والحرارة والضوء والكهربائية وما هو من نوع ذلك صورة ثانية لتلك القوة ولكنها أقل استقراراً

*
* *

فصل الذرات بعضها عن بعض ، أو بعبارة أخرى إفقاد المادة ماديتها ، عبارة عن تحويل صورتها المستقرة الى صورها غير المستقرة المسماة : كهربائية أو ضوءا أو حرارة أو غير ذلك

*
* *

توازن القوى الهائلة المتجمعة فى الذرات علة استقرارها ذلك الكبير ، غير أنه يكفى الاخلال بهذا التوازن بواسطة جوهر كشاف مؤثر لتأخذ تلك الذرات فى التفرق والانفكاك ، ومن هنا نرى الاجزاء السطحية من جسم ما تنفكك بتأثير بعض الاشعة الضوئية

*
* *

لما كان الضوء والكهربائية وأكثر القوى المعروفة متولدة من تحول المادة ، صح أن الجسم متى تشعع فقد جزءاً من جرمه بمجرد هذا التشعع ، فاذا استطاع أن يشعع قوته كلها تفاني بتمامه فى الاثير

*
* *

تتحول المادة الى قوة على صور شتى ومن المؤكد أن القوة تكاثفت فى مبدإ التكوين فقط فصارت مادة

*
* *

إن قانون التطور الخاضعة لحكمة الكائنات الحية ، سار أيضاً على الاجسام الجامدة البسيطة ، فلا الانواع الكيماوية ولا الانواع الحية ثابتة أبداً

٧

الحقيقة والخطأ

كانت حاجة المرء الى التحقق ، أشد دائماً من حاجته الى الحقيقة

*
* *

قيمة الحقيقة عملا ، على قدر درجة الاعتقاد بها

لا فرق بين أثر الاعتقاد السطحي ، في أفعال المرء ، وبين أثر الاعتقاد الصحيح

* * *

قد لا يتحرى المرء اختيار معتقده . ولكنه يصعب عليه دائماً احتمال معارضته فيه

* * *

لا يصلح المعقول الالهامى ولا المعقول الدينى لكشف حقائق غامضة بل لاخفاء ما خيف منه من الحقائق

* * *

يكفي غالباً إلباس الخطإ ثوباً جذاباً ليقبله الناس حقيقة ثابتة

* * *

قد تحتاج الحقائق بعد تقرير صورها إلى زمن طويل فى قبولها مما يضر باكتشاف الحقيقة النظر اليها من جهة تقدير فائدتها كما يفعل البراغماتيست [1]

* * *

ليست الحقيقة وحدة ولا راحة ولا منفعة ولكنها ضرورة

* * *

ما كان الانسان يعرف قبل العلم من الحقائق إلا ما كان

---

(١) هم المتعسفون فى الاستشهاد بالحوادث سعياً وراء تقرير المبادىء

نسبياً أى له متعلق معلوم ، فكان من وظيفة العلماء أن أظهروا أن هناك حقائق لذاتها

*
* *

تتسلل الكائنات في هذا العالم ولا تتأيد

*
* *

ما من حقيقة أبدية عند الانسان ، كما إنه لا يوجد كائن أبدى أمام الطبيعة

*
* *

الحقيقة كالجسم الحي لا تعرف ماهيتها إلا بمعرفة حالاتها السابقة

*
* *

تتبدل الذوات والاشياء بلا انقطاع . ولكل أمر وقع ، حقيقة واقعة تلحق به

*
* *

الحقيقة مرحلة عرضية من طريق لا نهاية له

*
* *

من الحقائق ما هو حقيقة مطلقة من حيث حياتها ، وليس منها ما هو كذلك أبد الآبدين

*
* *

كثير من الحقائق ينقلب خطأ بمرور الأيام

تختلف صور الحقائق باختلاف الامزجة التى تتلقاها

*
* *

اذا صيغ الخطأ فى صورة حسابية صحيحة ، كان كبير التأثير
وأشد الناس جحوداً يعتقد أن للمعادلات الجبرية سراً عجيباً

*
* *

كثير من الناس يستغنى عن الحقائق ، وما من أحد يستغنى عن الخيال

*
* *

خيال يعتبر صحيحاً ، مؤثر كالواقع

*
* *

فقدان الخيال ليس دليلا على معرفة الحقيقة

*
* *

أغلب الرق جاء من تشبث المرء بتحقيق خياله ، لا من جده فى طلب الرق نفسه

*
* *

اذا سرى الخيال من الفرد الى الجماعة ، اكتسب قوة الحقيقة

*
* *

ربما كانت فائدة الناس من الخطإ ، اكبر من فائدتهم من الحقيقة

٨

القصص والتاريخ

يسير التاريخ بعيداً عن المعقول . وقد يجرى على نقيضه

* * *

كثير من الحوادث يبقى غامضاً ، مادام الاعتقاد سائداً بأن لها عللا معقولة

* * *

لاهم للتاريخ بتحقيق مقدار انطباق المعتقد على المعقول . وإنما همه معرفة مقدار أثر ذلك الاعتقاد فى نفوس أهله

* * *

كل جيل يتناول حياته العقلية من الاجيال التى سبقته ، فمعظم نسيج المستقبل من سدى الحاضر

* * *

الاقاصيص أصح غالباً من التاريخ ، فهى تترجم مشاعر الامة الحقيقة . وهو يسرد حوادث متأثرة بعاقلة من يحكيها

* * *

لاسبيل الى كتابة التاريخ على وجهه الا اذا كان الكاتب

بعيداً من جميع الاحزاب ، حتى لاتكون له الاغراس التى هى قوام الحزبية

* * *

تنازع الحوادث النفسية قائد التاريخ . فان أ كبرها راجع على الا كثر الى تنازع المعتقدات منه إلى تضارب المنافع

* * *

الأثر الغالب فى التاريخ آت من المشاعر والدين ، وقلما جاء المعقول ، فمحرك الكون الحقيقي هو غير الواقع

الفصل الرابع

الفكر والعمل

١

العمل

العقل مفكر ، والاعتقاد فعال

*
* *

لو أن الانسان بدأ بالتفكير قبل العمل ، لانتهت دائرة التاريخ من زمن بعيد

*
* *

الاعتقاد يبعث على العمل ، سواء بنى على الخيال أو على الواقع ، والرجل لا عقيدة له ، كالسفينة لا دفة لها ، أو هو آلة بلا محرك

*
* *

اذا تمكن الاعتقاد بعث الى العمل ، وان كان باطلا أو مستحيلاً

*
* *

انما يستدل على عقل المرء وخلقه بعمله

*
* *

التفكر نافع ، وقد يجب العمل دون اطالة النظر ، فأعظم نزعات الشجاعة ، كانت لقوم ما فكروا الا قصيراً

*
* *

الافكار مثل جميع مظاهر الحياة : علتها توازن غير ثابت متحول على الدوام

*
* *

قلما تتحول الافكار الكلية من المطالعة ، وانما الكتب تسجل فى الغالب تغير الافكار

*
* *

كل عمل متبوع بآثاره والمرء يدعو تسلسل هذه الآثار مقدوراً

*
* *

علمك ما يجب عمله غير علمك بما أنت فاعل

٢

أوهام الديمقراطية

يظن دعاة الديمقراطية أنها نظرية عقلية ، والحقيقة أن مبناها المشاعر والدين مما لا دخل للعقل فيه

*
* *

الديمقراطية عند العامة شيء ، وعند المتعلمين شيء آخر

*
* *

أول مايفهمه العامة من الديمقراطية المساواة ، فلا يقولون بالاخاء بين الطبقات وليس لهم أقل عناية بالحرية ، أما المستنيرون فظمأهم الى الحرية شديد ، وميلهم للمساواة قليل

*
* *

ذاتية الديمقراطي الحقيقية فانية فى فريقه ، فليس له شخصية الا بها

*
* *

يمتاز علم النفس عن الديمقراطية بكونه يرى أن ذاتية المجموع المسمى أمة أحط بكثير من ذاتية الفرد

*
* *

لا فرق بين تعدى فريق العمال فى هذا الزمان ، وتعدى الشرفاء ورجال الدين فى الزمن السابق ، مما تعبت الملوكية زمناً طويلا فى محاربته

*
* *

كم من أمم تحتمل الاستبداد بلا عناء ، ولا تطيق الحرية الا بالجهد ، وهى على الدوام تبدى كراهيتها للأول وحبها للثانية

*
* *

مبادىء الديمقراطية من فريق الافكار التى يرح الانسان لالزام الغير بها ، ولا يرضاها لنفسه الا قليلا

*
* *

كلما سطرت المساواة فى القوانين ، اشتد ميل الناس الى الفروق الظاهرة المميزات بينهم

*
* *

حاجة الديمقراطية الى الزهو والظهور ، من أغلى الحاجات ثمناً وأقلها نفعاً

*
* *

السر فى شدة الميل الى المساواة ، هو فى الغالب رغبة المرء فى أن يتقدم على غيره ، ولا يتقدم أحد عليه

*
* *

المساواة نظرية صناعية ولدت كراهية كل تفوق يبنى عليه مجد الامة

*
* *

عاقبة الديمقراطية اقامة حرب الطبقات المستمر ، مقام حرب الامم المتقطع

*
* *

الطبيعة لا تعرف المساواة ، وما كان من رقى فسببه التفاوت المتزايد كل يوم

*
* *

لا تميل الحضارة الى التسوية بين الناس ، بل هى تزيد فى فرجة الفروق دائماً

*
* *

ادعت الديمقراطية للعلم قوة لا وجود لها الا فى الخيال ، وآل أمرها الى أن عبدته وهو رب كاذب

٣

الاوهام الاشتراكية

الاشتراكية غاية مبدإ المساواة القصوى ، وما هي الاحالة

ذهنية أكثر من كونها مذهباً

* * *

الديمقراطية والاشتراكية بعيدان بعداً سحيقاً عن بعضهما، وان كان الظاهر غير ذلك

* * *

الاشتراكية تدعو الى تسوية المقامات، فهى نقيض الديمقراطية فى رأى المستنيرين الذين يقولون باعلاء كلمة الكفاءة والنبوغ

* * *

ابهام المبادىء الاشتراكية احدى علل انتشارها، فمن حاجة المذهب أى كان أن لا يتحدد ويستبين الا بعد انتصاره

* * *

انتشار الاشتراكية راجع فى الأكثر الى كونها صورة من صور مذهب (الحكومية)، وهى غاية الغايات لجميع الاحزاب السياسية فى البلاد الفرنساوية

* * *

مما يكثر أنصار الاشتراكية، قساوة بعض أصحاب المال وضعف أخلاقهم

* * *

إذا مالت الحكومه الى المغالاة فى حماية الافراد، قعدوا

عن حماية أنفسهم ، وفقدوا فضيلة الهمة الذاتية

*
* *

لما كانت المعتقدات لا تحتمل التكذيب ، وضعت جناتها حيث لا وصول اليها ، وانما ضعفت الاشتراكية فى كونها جعلت دار نعيمها فى هذه الدنيا

*
* *

السعادة المنكمشة ، وبعبارة أخرى المساواة فى التسخير ، مما تبشر به الاشتراكية ، ليست خيالاً قوياً يأخذ بلب الأمم طويلا

*
* *

من لوازم تقدم الحضارة في هذا الزمان ، ايجاد منبوذين يكثرون يوماً عن يوم ، لاينطبعون على عصرهم ، ولا ينفكون عن محاربته

*
* *

أولئك هم السواد الاعظم بين الاشتراكيين

*
* *

كانت الثروة قديماً ، قائمة على جمود رأس المال فى مكانه ، فأصبحت لاحياة لها الا فى تداوله ، أعنى فى الفطانة التى يقتضيها استخدامه

ستفضي الاشتراكية الى استعباد عام ، وكذلك شأن مذهب النقابات ، غير أن هذا محدود فى دائرة منافع كل فريق بحسب مهنته ، فهو يمكن الفرد من مغالبة استبداد الهيئة الحاكمة

*
* *

السبب فى معظم ما وصلت اليه الحضارة من الرقى ، أمور معدودة : هى الهمة الذاتية ، والمخاطرة ، والمسابقة ، وما كان من قبيل ماذكر ، مما ترمى الاشتراكية إلى إعدامه

*
* *

إقامة همة الجماعة وتبعتها ، مقام همة الفرد وتبعته ، إنزال الانسان الى أحط دركات الكفاآت البشرية

*
* *

من المجاميع الانسانية ما تفنى فيه روح الفرد ، وذلك تقهقر تتطور به الامة الى الوراء

*
* *

ما خرج الانسان من الهمجية إلى الحضارة ، الا بهزوبه من مساواة العصور الأولى، مما ترمى الاشتراكية الى ارجاعنا اليه

٤

السّلمْ والحرب

الحياة جهاد ، والجهاد ناموس عام ، ولو أن الناس كانوا سلميين لما ارتقوا

*
* *

لولا أنه لا رحمة فى الطبيعة بالضعفاء ، لسادت الوحشية ، ولما انبثق شعاع واحد من نور الحضارة

*
* *

الأمم التى يحق لها أن تجنح الى السلم وتطيقه ، هى التى كثرت مدافعها

*
* *

أحكام الأهبة ، وقوة الاعتقاد ، وشدة كراهية العدو ، هى شروط الظفر فى الحروب دائماً

*
* *

الإحجام لتصور نافلة الإقدام ، رغبة من أول الأمر عن النجاح

إذا تألف الجيش من جنود يجادل بعضهم بعضاً ، ظفر به الجيش من الهمج الذى لا قدرة لهم على النظر ولكنهم سباقون الى الطاعة من غير جدال

*
* *

الخوف من الهزيمة يزيد التعرض لها ، وحمل الجيش على الاعتقاد بأرجحيته يضاعف شجاعته وحظه فى النصر

*
* *

شجاعة الفرد أندر من شجاعة الجماعة

*
* *

قد تكون عاطفة الميل وحدها ، سبب المحبة بين الافراد ، وأساس المصافاة بين الجماعات ، المنافع المادية ، تدوم بدوامها ، وتنعدم بانعدامها

*
* *

منافع الأمم الاقتصادية تحملها على حب السلام . ولكن اختلاف المشاعر والمعتقدات ، يدفعها دائماً الى الخصام

*
* *

لو أن هناك أمة سلمية بطبيعتها لمحيت من التاريخ على عجل

*
* *

٥

الثورات

أبقى الانقلابات ما كان فى المعقولات

* * *

اس الانقلابات العلمية ، تصورات عقلية ، أما الثورات
ية والدينية فمنشؤها مشاعر ومعتقدات وأفكار عامة

* * *

تتأثر حياة الامم من الانقلابات العلمية ، أكثر كثيراً بل من الثورات السياسية

* * *

قد تبنى الثورة السياسية فى أول أمرها على اعتبارات معقولة لكنها لا تنتشر إلا بضغط المشاعر والمعتقدات والجماعة ، مما لا دخل لشيء من العقل فيه

* * *

الثورات والحروب دليل على انتقال تنازع القوى النفسية من عالم السكون إلى عالم الظهور

* * *

ليست الثورة على الدوام حادثاً ينقضى متبوعاً بحادث يبتدى بل قد تكون حادثة واحدة مستمرة سريعة الخُطى

*
* *

تشدد الأمة فى الاحتفاظ بالتقاليد ، يسلمها الى الثورة العنيفة لأنها لا تقدر على التطور فتضطر الى التحول فجأة

*
* *

الشقى من ألقى فى قلبه أنه شقى ، وكذلك يفعل القوا[illegible] ليضرموا نار الثورة فى النفوس

*
* *

يظن قواد الثورة أن العقل رائدهم ، وما هم إلا مسيرون بمشاعر ومعتقدات ، وروح جماعات لا ينتبهون لها

*
* *

العدوى الفكرية أعظم البواعث على انتشار روح الثورة

*
* *

الجماعات محط الثورة لا مصدرها

* *
*

أساطين الثورة : أفكار ، وقواد ، وجند وجماعة

*
* *

كل ثورة ناجحة تقوم بها العامة ، رجوع وقتى الى الهمجية ،

لما فيها من انتصار الشهوة على العقل ، وتخطى القيود الاجتماعية التى هى الفارق بين المدنى والهمجي

* * *

لاتذهب الثورة ببناء شاده العقل جيلاً بعد جيل ، وانما تنال من صورته فقط

* * *

اثر الثورة القريب ، الخروج من رق إلى رق

* * *

ليست الاصلاحات الاجتماعية الكبرى من عمل الثورات، بل لها ، كالتغيرات الجيولوچية ، أسباب صغيرة تتوفر على مهل

* * *

يطلب السواد الأعظم من الناس أن يساسوا لا أن يثوروا

* * *

قلما تعقل الامة شيئاً من الثورة التى تقوم بها

* * *

لاتدرك الأمم سبب ثورتها إلا بعد أن تكون هذه انطفأت منذ زمن طويل

* * *

من السهل نزول الملك عن عرشه ، لكن المبادىء التى يمثلها

تدوم من بعده ، فأغلب الثورات انما تأتى بملوكية بدل أخرى

*
* *

اذا تفككت روابط الجيش فانذر الامة بالثورة ، وقد ماتت الملوكية فى فرنسا يوم تمرد الجند فقعد عن حماية الملك

*
* *

الثورة عند بعض الناس حالة عقلية بقطع النظر عن محلها ، وإذا كان هذا مصدرها فلا شىء يطفىء نارها

*
* *

الغالب أن سبب الثورة المقبلة نهاية معتقد مدبر

٦

حكومة الامة

ماحكومة الأمة الا حكومة طائفة من الزعماء

*
* *

أبعدمايرمى اليه خيال المتسوسين ، اعتبار الامة إلهاً معصوماً لا يسأل عما يفعل

*
* *

شرط بقاء الحكومة الديمقراطية ، عملها بالافكار الباطلة السائدة فى الجموع

الحكومات الديمقراطية مسيرة على الدوام بالمغالاة والتظاهر بمحبة الانسانية والخوف

***

لا إنصاف ولا تسامح فى حكومة الأمة ، لأنها خاضعة لشهوات كثيرة ، وهى لا تدوم إلا بالايغال فى الاستبداد

***

استبداد الفرد أقل عسفاً ، حذر التبعة ، من استبداد الجماعة إذ لا تبعة عليها

***

من السهل قلب الاستبداد الفردى ، ولا حيلة للمظلوم من استبداد الجماعة

***

ليس الظلم هو المكروه غالباً ، بل المكروه دائماً هم الظالمون

***

أقسى المظالم محتمل ، اذا جهل مصدره

***

لا يستقيم أمر حكومة الأمة إلا إذا ساد فيها روح اليعاقبة (١)

---

(١) فريق من أهل الثورة الفرنساوية اشتهر بالعسف والقسوة

تتولد روح اليعاقبة من ضيق الفكر ، وتطرف الشهوة وثورة المعتقد وعدم قابلية التعقل الصحيح

*
* *

ليس اليعقوبي من أهل النظر العقلي . بل هو من أهل الاعتقاد فهو لا يحاول مطابقة معتقدة للعقل . بل يعمل على ادماج العقل فى معتقده

*
* *

تنقسم بعض الأمم من حيث السياسة الى يعاقبة لا يفقهون الماضى سراً ، والى محافظين لا يدركون ضرورات الحاضر

*
* *

سياسة الجمع منحطة دائماً ، وليس لحكومة الامة إلا هذه السياسة

*
* *

لولا أن الضرورات الاقتصادية تصدمن شهوات حكومة الأمة ، لكانت يدها معول خرابها

*
* *

تبدأ الديمقراطية اذا انتصرت بهدم الطبقات الممتازة قديماً ثم توجد طبقات ممتازة مرة أخرى

*
* *

جرائم الملوك لا تعد بجانب آثام الأمم

* * *

ورثت حكومة هذا العصر فى نظر الجموع سلطان الملوك أيام كانوا ظل الله فى الارض

* * *

لطيف الخوف شأن كبير فى حكومة الامة ، فالخوف من الجيش ومن الكنيسة ومن العمال ومن الموظفين ، هو الذى على أكثر قوانيننا منذ عشرين عاماً

* * *

سلطة الحكومة الديمقراطية التى تنتقل وزاراتها مسرعة من وزير إلى وزير ، بيد المصالح التابعة إليهم . فالوزراء يحسبون أنهم يحكمونها . وهم بها محكومون

* * *

كلما ضعفت الحكومة عظم سلطان فريق الموظفين

* * *

ما أسرع الفوضى إلى أمة ، إذا حلت فيها كلمة الجماعة محل كلمة القانون

* * *

يخف عسف حكومة الامة بقلة ثباتها، لان سرعة تعاقب الاحزاب فى دست الحكم ، يجعل ظل كل منها سريع الزوال

*
* *

إما تصير الحكومة الديمقراطية هيمنة عسكرية ، وإما تؤول الى حكومة ذوى الاموال ، وتلك صورة من أشد صور الاستبداد ظلماً

*
* *

لا يستدل على حقيقة حال الأمة السياسى بدستورها ، ولا بقوانينها ، وإنما مقياس ذلك فى المقابلة بين شأن الحكومة وشأن الافراد فى الأعمال العامة وفى الاعمال الخاصة

*
* *

ترى حكومة الأمة أن إقفال المعابد أقل ضرراً من إقفال حانات الخمور ، وسترى أن الأول أعظم خطراً

*
* *

أمة تنشد المساواة على الدوام ، هى قاب قوسين من الاسترقاق

٧

روح السياسة

المسائل السياسية فى هذا الزمان ، شبيهة بأسئلة أبى الهول المذكور فى القصص القديمة : إما أن يحلها من يزاولها ، وإما أن يغتال

*
* *

لا يدرك السياسة من جهل روح الشعوب والامم والافراد والجماعات .

*
* *

الامة وحدة ذات قوى متنافرة تحتاج إلى التوازن ، فاذا اختل توازنهم بدت الفوضى .

*
* *

تنحصر السياسة فى أمرين : علم وبصر

*
* *

الحكومة بنت عصرها ، لا أمه

*
* *

إذا لم يكن من القوى مايمهد للذرات الطبيعية والخلايا الحية

والافراد البشرية طريق فعلها ، فهى عثير لا فائدة منه

*
* *

سلطان الحكومة بخضوع المحكومين طوعاً أكبر من سلطانها بقوتها

*
* *

ماعرفت الامم حتى الآن من أشكال الحكومات إلا أثرة الفرد أو أثرة الجماعة ، والثانية كانت على الدوام أقسى من الاولى

*
* *

العلم بالنتائج البعيدة للاعمال السياسية متعذر ، ولهذا كان الشغف بالاصلاحات الكلية خطراً كبيراً

*
* *

لا تنبت الحوادث السياسية فجأة ، ولكنها نتيجة سلسلة أسباب سابقة

*
* *

عدُّك الحادث لا مفر منه ، يجعله قضاء محتوماً .

*
* *

الفوز فى السياسة كما فى الحياة لأهل اليقين ، وقلما فاز المترددون

*
* *

ضعف ثقة طائفة بحقوقها يضيعها كما وقع للشرفاء قديماً ، وماهو واقع لأهل الطبقة الوسطى حالا

*
* *

الامور المعروفة الواضحة أقل أهمية من التى يغشاها الابهام سيان فى ذلك السياسة والحياة الفردية

*
* *

لا تتولد الحرية بنقل الأثرة من يد إلى أخرى

*
* *

ليس ضرر الحكومة المطلقة من المستبد بالامر فيها ، بل من ألوف صغار المستبدين الذين يتقاسمون سلطانه

*
* *

اختلاط السلطات نتيجة اختلاط الأفكار

*
* *

النظريات السياسية كالمعتقدات الدينية ، لا ينبغى الحكم عليها من جهة انطباقها على العقل ، بل من حيث أثرها فى الناس

*
* *

كثير من الخطأ السياسي صادر عن نظريات صحيحة عقلا

*
* *

عدم الافكار الرئيسية فى السياسة ، أقل ضرراً من الافكار الباطلة

زوال الحكومات بخطأها ، أكثر من زوالها بفعل أعدائها

*
* *

لولا أن استبداد الأحياء محدود باستبداد أسلافهم فيهم ، لتجاوزوا فيه كل حد

٨

فن الحكم

الاجتماع بلا وازع متعذر ، كما أنه لا نهر إلا بضفاف تحصر تيار مياهه

*
* *

أنجع الوسائل فى هدم مبدإ السلطة ، إلفات الناس إلى مالهم من الحقوق ، واغفال تذكيرهم بما عليهم من الواجبات ، فكل على استعداد للاخذ بالاولى ، وقليل يأبه للثانية

*
* *

لا يكفى أن تهتم الحكومة بمنافع الامة المادية ، بل لابد من العناية أيضاً بآمالها

*
* *

السلطان الادبي لا يقاوم بالقوانين ولا بالجند

لايسوس الناس إلا من عرف أنه لا تلازم بين تطور النفس الشاعرة وتطور النفس العاقلة ، وأن الواحدة منهما لا تتأثر بالاخرى إلا قليلا

* * *

من أسرار فن سياسة الأمم استخدام نزعات النفس الشاعرة والنزعات الدينية وتوجيهها فى طريق معقول

* * *

يحتاج الفكر الجديد الى سند يتكئ عليه حتى ينتشر ، فاذا ما ثبت صار متكا

* * *

ينبغى للوازع أن لا يشارك قومه فى شهواتهم ، لكن يجب عليه أن يكون على علم بها

* * *

سياسة الامة متعذرة على من جهل أن من المعتقدات الباطلة عقلا ، ما هو أفعل فى الناس من الحقائق الناصعة

* * *

من الخطر معاداة الدين ، وكل حكومة تضطهد الامة فى معتقدها هالكة من يد هذا المعتقد

* * *

ينبغى للحكومة أن تبتعد عن الاضطهاد ، ولو لم تقصد من عملها إلا المنفعة الحقة ، لان العنف يفيد المذاهب المضطهدة أكثر مما ينفع مضطهديها

*
* *

وظيفة العالم قتل الاوهام ، ووظيفة السياسى استخدامها

*
* *

إذا عمدت الحكومة إلى متابعة الرأى العام ولم توجهه ، بطلت سيادتها

*
* *

سلطان غير موثوق به ، يوشك أن تزول حرمته

*
* *

إذا تفرقت التبعة فهى الاباحة

*
* *

استخدام السلطان لفائدة طائفة يزيد فى جشعها ، ولا تلبث أن تنقلب عدوة لصاحبه

*
* *

من وسائل فن الحكم ، اجتذاب قواد الاغلبيات أو معارضتهم بأمثالهم

*
* *

لا يفل الزعماء إلا الزعماء

*
* *

من السهل تمزيق روح الجماعة لانها عرضية ، لكن من المتعذر إماتة روح الامة لانها روح دائمة

* *
*

الارجاء الاستعداد حكمة كما قال « ميكافيل » . لكن من الخطر أن يكون الغرض منه ترك تمهيد السبيل للزمن

*
* *

عدم الرضا علة المجهود ، فما طمحت الى الرقي نفس راضية برزقها

*
* *

ينبغي للحكومة أن تجعل من الاخلاق سدوداً ، قبل أن تصير هذه ضرورة حالة ، ولات حين بنائها

*
* *

إذا لاح وجوب التسليم ، وجب أن لا ينتظر به حتى لا يكون مهرب منه

* *
*

من عوامل التفريق بين الامم ، مذهب حب الانسانية والخوف

ولا عذر لمن تصدى للحكم فى الاخذ بهما

*
* *

التساهل دائماً أمام التهديد ، والطرق القهرية ، يولد فى النفوس اعتقاداً بأن المطالب تنال من طريق الوعيد أو التخريب.

*
* *

التساهل لا يمنع حربا لزمت ، ولكنه يزيد فى نفقتها ويكثر من ضررها

*
* *

عقوبة صارمة مؤقتة ، أفضل من عقوبة هينة مستمرة

*
* *

إنما يفيد الارهاب فى زجر النفوس إذا لم يطل أمده

*
* *

حكومة تعودت التحالف مع الاضطراب ، مقتولة به

*
* *

إذا تعذر حكم الامة طبقاً لمبادىء صحيحة ، وجب التعويل على حكمها طبقاً لما اتفق على أنه صحيح

*
* *

من الخرق معارضة اندفاع الامة ، بل الحكمة تقضى بتحويله شيئاً فشيئاً

*
* *

الرجل الممتاز يعرف كيف يستخدم القدر ، كما يستخدم الربان الرياح من أى ناحية هبت

*
* *

لكل حادث ظهر أسباب خفية اقتضته ، من لم يستطع استكناهها جاهل بفن سياسة الامة

*
* *

السياسة التى لا تعنى إلا بالحاضر ، سياسة منحطة

*
* *

سلامة الذوق والخلق . أنفع غالباً للسياسى من حدة الذكاء

*
* *

لا دوام لمجتمع إن لم يكن له أفكار ثابتة ، ولا يترقى الفرد إلا بتطور أفكاره

*
* *

الحاضر مثقل بالماضى ، فمن أراد النظر إلى ماهو آت ، وجب عليه أن يذكر ما فات

*
* *

التبصر مفيد ، والتقية أفيد : ذاك يعصم من المفاجأة وهذه تعصم من آثارها

*
* *

سياسى لا بصر فيه ، محدث أقدار كبير ضررها

فهرست

الفصل الأول

الحياة الشاعرة

صفحة

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية

الفصل الثالث

الحياة القومية

صفحة

الفصل الرابع

الفكر والعمل

صفحة